المجلة العلميّة لعلوم الشّريعة
Scientific journal of Sharia Sciences
تصدر عن كلّيّة علوم الشّريعة بجامعة المرقب
رقم التّصنيف الدولي (ISSN):3006-1016

تاريخ الاستلام: 12 - 05 - 2026 م تاريخ القبول: 09 – 06 - 2026 م تاريخ النشر 30 – 06 - 2026 م

معالم التفسير المقاصدي عند الإمام الصفدي من خلال تفسيره (كشف الأسرار وهتك الأستار)

أ. عطية مصطفى أبو بكر العيان
قسم التفسير والحديث. كلية علوم الشريعة. جامعة المرقب
amalayyan@elmergib.edu.ly

ملخص البحث:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز معالم التفسير المقاصدي عند الإمام الصفدي - رحمه الله- من خلال سفره القيم" كشف الأسرار وهتك الأستار"، والذي يعتبر من التفاسير المحققة حديثا.

وقد تم التوصل إلى عدة نتائج أبرزها: أن أهم معالم التفسير المقاصدي عند الإمام الصفدي تجلت في بيانه للمقاصد العامة للقرآن الكريم واطراده في شرحها، وفي ذكره للمقاصد الخاصة للقرآن الكريم المتعلقة بموضوع خاص أو مجال معين من المجالات والتدقيق في تفسيرها. وكذا في إيضاحه للمقاصد التفصيلية والجزئية لبعض الآيات القرآنية والإسهاب في إيراد عللها وغاياتها، وفي شرحه لمقاصد بعض الكلمات والألفاظ القرآنية ذات الحمولة اللغوية والاكتناز المعنوي.

الكلمات المفتاحية: الصفدي، كشف الأسرار وهتك الأستار، المقاصد الخاصة، التفسير.

Features of Imam al-Safadi's Maqasidi Exegesis as Reflected in His Commentary "Kashf al-Asrar wa-Hatik al-Astār"

A. Atiya Mustafa Abu Bakr al-Ayyan
Department of Exegesis and Hadith، College of Sharia Sciences، Al-Marqab University
amalayyan@elmergib.edu.ly

Abstract:
This research paper aims to highlight the features of Imam al-Safadi's (may Allah have mercy on him) maqasidi exegesis through his valuable work "Kashf al-Asrar wa-Hatik al-Astār،" which is considered one of the recently authenticated exegeses. Several conclusions were reached، most notably: that the most important features of Imam al-Safadi's maqasidi exegesis are evident in his articulation of the general objectives of the Holy Qur'an and his consistency in explaining them، as well as in his mention of the specific objectives of the Holy Qur'an related to a particular topic or field and his meticulous analysis of their interpretation. Likewise، in his clarification of the detailed and partial objectives of certain Quranic verses and his elaboration on their reasons and purposes، and in his explanation of the objectives of certain Quranic words and expressions with linguistic weight and profound meaning.

Keywords: Al-Safadi; Unveiling Secrets and Lifting Veils; specific objectives; exegesis

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن من أجلّ العلوم وأشرفها علم تفسير القرآن الكريم؛ لارتباطه بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي أنزل إلينا لتحقيق مقاصد جليلة فيها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة.

وقد تعددت اتجاهات العلماء قديما وحديثا في الكشف عن أسرار القرآن الكريم وحكمه وأحكامه، بين من يفسّر القرآن الكريم بالمأثور، ومن يفسره بالرأي، سواء من خلال الاتجاه البياني، أو الفقهي، أو العقدي، وغيرها من الاتجاهات، وقد برز اهتمام العلماء المعاصرين بلون جديد من ألوان التفسير أطلقوا عليه التفسير المقاصدي، وهو تفسير يهدف إلى الكشف عن الغاية الربانية من الخطاب القرآني، سواء من خلال إبراز المقاصد العامة للقرآن الكريم، أو مقاصد السورة القرآنية، أو المقطع القرآني، أو الآية، أو الكلمة، وغيرها. وآيات القرآن في الكثير من المواطن تتحدث عن مقاصدها، وفي مواطن أخرى تحتاج لإعمال عقل المفسر للكشف عنها.

إن الاهتمام بالفهم المقاصدي للقرآن الكريم لم يكن وليد العصر الذي نعيش فيه، وإن كان ظهور المصطلح معاصراً، والناظر في تفاسير المتقدمين يجد هذا الفهم المقاصدي حاضراً لديهم على تفاوت بين مقل ومكثر، وقد كان جلّ اهتمام الباحثين في التفسير المقاصدي الكشف عنه في تفاسير المعاصرين، لذلك اخترت في هذا البحث الوقوف مع تفسير لأحد المتقدمين، وهو الامام الصفدي؛ لبيان دوره في الكشف عن مقاصد القرآن الكريم، واهتمامه بهذا اللون من التفسير.

إشكاليّة البحث:

تتجسد إشكالية البحث في دراسة كيف اهتم الإمام الصفدي- رحمه الله- بإعمال المقاصد للكشف عن مراد الله في النص القرآني، الذي ركز على الكشف عن المعاني والغايات التي يدور حولها القرآن الكريم كليا وجزئيا، وبيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصالح العباد.

تساؤلات البحث:

يتفرع عن إشكاليّة البحث بعض الأسئلة، أهمها:

1 – ما مفهوم التفسير المقاصدي؟
2 - من هو جمال الدين الصفدي، وما منهجه في بيان المقاصد القرآنية؟
3 – ما ملامح التفسير المقاصدي في كشف الأسرار وهتك الأستار؟

أهداف البحث:

1- بيان مفهوم التفسير المقاصدي.

2- التعريف بجمال الدين الصفدي وتوضيح منهجه في بيان المقاصد القرآنية في كتابه (كشف الأسرار وهتك الأستار).

3- بيان ملامح التفسير المقاصدي في (كشف الأسرار وهتك الأستار).

أهمية البحث:

تنبع أهمية الدراسة من أهمية الكتاب الذي تبحث فيه؛ فهي تبحث في تفسير كتاب الله تعالى، وتبين شيئا من مقاصده من خلال تفسير (كشف الأسرار وهتك الأستار)، وهذه الدراسة من الأهمية بمكان؛ لأنها توجّه الباحثين لقراءة القرآن الكريم وكتب المفسّرين في إطار المقاصد القرآنية، وعدم تجريد النصوص عن مقاصدها، وإبراز الفهم المقاصدي في كتب المفسرين لكلام رب العالمين.

الدراسات السابقة حول الموضوع:

بعد البحث والاطلاع وقع بين يدي الباحث عدة أبحاث ورسائل علمية، ومن أبرزها:

1- "منهج الإمام الصفدي في تفسيره كشف الأسرار وهتك الأستار": عرض ودراسة، للباحث: مرادي أحمد محمد صديان/ ماجستير/ الجامعة العراقية/2021م.

2- تحقيق كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار، لأبي الفضائل يوسف بن هلال الصفدي، المحقق: بهاء الدين دارتما/ وقف الديانة التركي- مركز البحوث الإسلامية (ISAM).

3- منهج الاستنباط من القرآن الكريم عند الإمام الصفدي في تفسيره " كشف الأسرار وهتك الأستار"، للباحثة: نرمين ساير خضير عبد الله/ ماجستير/ الجامعة العراقية- كلية التربية للبنات.

4- النسخ في تفسير "كشف الأسرار وهتك الأستار للعلامة يوسف بن هلال الصفدي"/ بحث/ لـ سلام أحمد فريجات/ الجامعة الإسلامية بمينيسوتا (2023م).

5- "الحروف المقطعة عند الصفدي في تفسيره كشف الأسرار وهتك الأستار"/ بحث/ للباحثين: سلام أحمد فريجات، محمد فؤاد الحوامدة(2023م).

6- " الدخيل في تفسير كشف الأسرار وهتك الأستار للإمام جمال الدين الصفدي – سورة الأنعام أنموذجا"/ بحث/ دراسة تحليلية منشورة في مجلة الحكمة (2023م).

7- " منهج جمال الدين الصفدي في التعامل مع التوراة والإنجيل في تفسيره"/بحث/ للباحثين: سلام أحمد فريجات، ويحيى ضاحي شطناوي/ دراسة منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية(2022م).

وكل هذه الدراسات حول تفسير (كشف الأسرار وهتك الأستار) كان فيها فائدة كبيرة في التعريف بالإمام الصفدي ومنهجه الذي اتبعه داخل تفسيره، ولم يكن من هذه الدراسات دراسة متخصصة في التفسير المقاصدي عند الصفدي- رحمه الله-؛ لهذا تم اختيار هذا الجانب، والوقوف على دقائقه من المخطوط مباشرة.

منهج البحث:

سيتبع الباحث في هذا الموضوع المنهج الوصفي، التحليلي، الاستنباطي، وذلك من خلال الوقوف على تفسير الصفدي للكثير من الآيات القرآنية في مختلف الموضوعات، واستنتج الباحث منهج الصفدي في الكشف عن مقاصد القرآن، وسمات هذا المنهج في تفسيره.

خطّة البحث:

قسمت هذه الورقة البحثية إلى مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة:

- **مقدمة**
- **المطلب الأول:** مفهوم التفسير المقاصدي، ضوابطه وأنواعه.
- **المطلب الثاني:** ترجمة الإمام الصفدي، والتعريف بتفسيره "كشف الأسرار وهتك الأستار".
- **المطلب الثالث:** نماذج تطبيقية لمعالم التفسير المقاصدي عند الإمام الصفدي.
- **خاتمة**

وختاما نسأل الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً متقبلا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يتقبل منا صيام وقيام شهره الكريم، وأن يكون لنا ذخرا يوم الدين.

26/رمضان/1447هـ

المطلب الأول: مفهوم التفسير المقاصدي ضوابطه و أنواعه

- مفهوم التفسير والمقاصد

- التفسير في اللغة:

قال ابن فارس: "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته".[1]

قال ابن منظور: "الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسرا وفسره: أبانه، والتفسير مثله. الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل".[2]

وقال أبو منصور: "الفسر: كشف ما غطي".[3]

-التفسير في الاصطلاح:

قال أبو حيان:" علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك".[4]

وعرفه الزركشي بأنه: " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه".[5]

وعرفه الطاهر بن عاشور فقال: " هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[6]، وهذا التعريف يكاد يكون الأبسط والأدل على حقيقة التفسير، وهناك الكثير غير هذه التعريفات تتحدث عن تفصيلات ومباحث علم التفسير، وعن موارده ومصادره، أكثر مما تتحدث عن تعريفه تعريفا موجزا، يدل على طبيعته.

1 ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (4-504)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: 1399هـ

2 ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)،(55/5)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ .

3 تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)،(282/12)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

4 البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)،(26/1)، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ

5 البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)،(13/1)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، 1376 هـ

6 التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)،(11/1)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ

المقاصد في اللغة:

قال ابن منظور: " القصد: استقامة الطريق. قصد يقصد قصدا، فهو قاصد. والقصد: إتيان الشيء تقول: قصدته وقصدت له وقصدت إليه، والقصد في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير. والقصد في المعيشة: أن لا يسرف ولا يقتر".[1]

المقاصد في الاصطلاح:

عرفت المقاصد بأكثر من تعريف، فقد جعل بعضهم المقاصد في مقابلة المبادئ، وبعضهم الآخر في مقابلة الوسائل، ومن هذه التعريفات:

عرفها الإمام القرافي أنها: "موارد الأحكام المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها".[2]

وعرفها الطاهر بن عاشور أنها: " الأعمال والتصرفات المقصودة بذاتها والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساع شتى أو تحمل على السعي إليها امتثالا ".[3]

وعرفها الريسوني: "هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد".[4]

فالمقاصد هي الغايات أو المعاني والحكم التي وضعت الشريعة من أجل تحقيقها لمصلحة العباد سواء عامة أو خاصة.

- مفهوم التفسير المقاصدي:

التفسير المقاصدي للقرآن هو منهج اجتهادي من مناهج التفسير، يركز على الكشف عن المعاني والغايات التي يدور حولها القرآن الكريم كليا وجزئيا، وبيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصالح العباد.

وبعد تعريف التفسير والمقاصد في مستواهما الإفرادي، نلج إلى تعريفهما بوصفهما مركب إضافي، لكن قبل ذلك نطرح السؤال الآتي: هل وضع أهل التفسير تعريفا معتبرا للتفسير المقاصدي؟

يعد التفسير المقاصدي تفسيرا تجديديا، بالرغم من أن تاريخ المقاصد قديم قدم التشريع، واستعمال لفظ المقاصد ومعانيه مشهور منذ القدم، إلا أن إدخال المقاصد في التفسير ظهر في القرون المتأخرة، ابتداء من

1 ينظر: لسان العرب، ابن منظور (3/353-354)، مادة (قصد).

2 أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، (41/2)، الناشر: عالم الكتب.

3 مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ج(2)ص (121)، تحقيق ودراسة: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر, عام النشر1425هـ 2004م.

4 نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، ص (7)، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية - 1412 هـ

عصر محمد عبده، وتلميذه رشيد رضا، ثم ابن عاشور، وانتهاء بسيد قطب، وسعيد حوى، وغيرهم ممن كتب في التفسير المعاصر، غير أن هؤلاء- رحمهم الله جميعا- لم يوجد في تفاسيرهم التعريف الواضح لهذا النوع من التفسير، على الرغم من أن منهجيتهم واضحة، وطريقتهم في تناول المقاصد لا لبس فيها. ولعل ابن عاشور حاول في تعريفه للتفسير بمعناه الاصطلاحي أن يحدد ملامح هذا النوع من التفسير فقال: "مقاصد التشريع العامة هي: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[1]، ولكن يظل تعريفه هذا تعريفا للتفسير بمعناه العام.

وعرفه وصفي عاشور: " لون من ألوان التفسير يبحث في الكشف عن المعاني المعقولة والغايات المتنوعة التي يدور حولها القرآن الكريم كليا أو جزئيا، مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصلحة العباد".[2]

وعرف بهذا التعريف: " ذلك النوع من التفسير الذي يهتم ببيان المقاصد التي تضمنها القرآن، وشرعت من أجلها أحكامه، ويكشف عن معاني الألفاظ، مع التوسع في دلالاتها، مراعيا في ذلك قواعد التفسير الأخرى كالمأثور والسياق والمناسبات وغيرها"[3] ، وعرف أيضا بأنه: " لون من ألوان التفسير يبحث في الكشف عن المعاني والغايات التي يدور حولها القرآن الكريم كليا أو جزئيا، مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصلحة العباد".[4]

ومما سبق ذكره من تعريفات لمقاصد الشريعة عموما عند علماء المقاصد والمفسرين، وبناء على التعريفات السابقة لمقاصد القرآن خصوصا يمكننا تعريف التفسير المقاصدي للقرآن الكريم بأنه:

" ذلك النوع من التفسير بالرأي المحمود الذي يهتم ببيان الأغراض والمقاصد التي تضمنها القرآن، وشرعت من أجلها أحكامه، ويكشف عن معاني الألفاظ، مع التوسع في دلالاتها، مراعيا في ذلك قواعد التفسير بالمأثور، والسياق والمناسبات".[5]

وسبب الاهتمام وتوجيه الأنظار إلى التفسير المقاصدي، تغييبه في الدراسات الشرعية، مع أن جميع المقاصد الشرعية المعتبرة والمعلومة، والتي شغلت الباحثين من الشاطبي إلى يومنا هذا، إنما هي راجعة في جملتها أو تفصيلها، أو تصريحا أو تضمينا إلى القرآن وهديه وتوجيهه، كما أن أكثر ما كتب في التفسير وإن تناول جانبا

1 مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة،ج (3) ص (165).

2 مقاصد القرآن الكريم، وصفي عاشور، ص (242)، الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى:2016م.

3 التفسير المقاصدي، إشكالية التعريف والخصائص، المخلاقي، نشوان عبده، الأطرش، رضوان جمال، بحث نشر في مجلة ثرآنيكا جامعة ملايا، ماليزيا، المجلد5، العدد2، 2013م.

4 التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم، أبو زيد، وصفي عاشور، ورقة بحثية مقدمة لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، بالجمهورية الجزائرية، في مؤتمرها الدولي بعنوان: "فهم القرآن بين النص والواقع"، ص (7)، سنة2013م.

5 هذا التعريف من اجتهاد الباحثين، إذ لم يعثر على تعريف مستقل للتفسير المقاصدي. انظر: معالم التفسير المقاصدي للقرآن الكريم: آيات الخمر نموذجا"، خالد نشوان عبده ص (24)، بحث للحصول على درجة الماجستير في القرآن وعلومه، ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية، يونيو 2010م.

من جوانب عظمة القرآن، وأفاد في زمن تأليفه لكن الآن هذه التفاسير تحتاج إلى تجديد فيها بما يتناسب والمرحلة التي تعيشها الأمة، خاصة أنها لم تعد في أكثرها محفزة ودالة على هدايات القرآن، يقول صاحب تفسير المنار: "أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للأنفس، المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات، التي لا قيمة لها سندا ولا موضوعا، كما أن المفضلين لسائر التفاسير لهم صوارف أخرى... فكانت الحاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه، وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح"[1]

ومع كل ما ذكرنا لابد من التنبيه على أن الجانب الثابت من الشريعة، بما ورد في القرآن ولا تحتمل تغييرا ولا تجديدا في فهمه، إلا ما تعلق ببيان علله وحكمه ومقاصده، يقول الشاطبي: " الثبوت من غير زوال، فلذلك لا تجد فيها بعد كمالها نسخا ولا تخصيصا لعمومها ولا تقييدا لإطلاقها، ولا رفعا لحكم من أحكامها، ولا بحسب خصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان ولا حال دون حال، بل ما أثبت سببا فهو سبب أبدا لا يرتفع، وما كان شرطا فهو أبدا شرط، وما كان واجبا فهو واجب أبدا، ومندوبا فمندوب، وهكذا جميع الأحكام، فلا زوال لها ولا تبدل، ولو فرض بقاء التكليف إلى غير نهاية لكانت أحكامها كذلك".[2]

فالبحث في مقاصده وحكمه مطلوب لتحقيق مزيد من اليقين والهداية والتدبر.

-ضوابط التفسير المقاصدي

لعل أول شرط ينبغي أن يتحلى به الناظر في كتاب الله، هو الخشية من الله وتقواه، مصداقا لقول الباري جل في علاه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهَ﴾[البقرة: 281]، وهو حقيقة لا ينبغي أن يعد من الشروط، بل إنه من البديهيات التي يتحتم على المفسر تحصيلها والتحلي بها قبل نظره في النصوص والكليات، حتى يسلم له النظر، ويكون محققا للمقاصد والغايات التي نزلت لأجلها الآيات البينات.

ومن أهم الضوابط والشروط التي على المفسر مراعاتها وعدم إغفالها:

1. الالتزام بضوابط التفسير

ومن ذلك تفسير القرآن بالقرآن؛ لأن القرآن يبين بعضه بعضا، وأن ينظر كذلك لأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه أعرف الخلق بالله وبمعاني كلامه، وأن ينظر لأقوال الصحابة لأنهم عاصروا نزول القرآن مع علمهم باللغة، وأن ينظر في تفسير التابعين الذين عاصروا الصحابة، قال ابن عطية: " **كان على من يفسر**

1 تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354هـ)، (10/1)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.

2 الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، (110/1)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ

القرآن الكريم أن يرجع إلى القرآن أولا، يبحث فيه عن تفسير ما يريد، فيقابل الآيات بعضها ببعض، ويستعين بما جاء مسهبا ليعرف به ما جاء موجزا، وبالمبين ليفهم به المجمل، ويحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص"[1].

وهناك من ذكر شروطا للمفسر منها: "صحة الاعتقاد والتجرد من الهوى، والبدء بتفسير القرآن بالقرآن، ثم السنة ثم أقوال الصحابة، ثم أقوال التابعين، والعلم باللغة العربية وفروعها، والعلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن، ودقة الفهم"[2].

2. فهم المقاصد بلغة العرب

القرآن نزل بلغة العرب ولا يفهم من غير هذا الطريق قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، وقال أيضا: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]، يقول الشاطبي: "فمن أراد تفهمه من جهة لسان العرب يفهمه ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة" [3].

فاللغة العربية شرط أساس لإدراك مقاصد القرآن، وبغيرها يستحيل على الناظر في كتاب الله، معرفة مراد الله. فمن رام فهم القرآن، وكانت له معرفة بمفردات اللغة وتراكيبها، لا يكون كمن له دربة في أساليب القرآن المختلفة فإنه لاشك سيفهم مقاصد القرآن بصورة أعمق، خاصة أن المقاصد تحتاج إلى نظر كلي شامل للنصوص، فمثلا قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: 185] يفهم منه أن اليسر مقصد شرعي بصورة واضحة، أما قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾[الحشر: 7]، فقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ يحتاج إلى إدراك أن ﴿كَيْ﴾ من حروف التعليل وأن المقصود من قسمة الفيء أن لا يكون المال متداولا بين الأغنياء دون الفقراء، فهذا لابد فيه من فهم أساليب في الكلام، ومعرفة حروف التعليل.

ومباحث الدلالات لها أهمية كبرى في فهم المقاصد من القرآن، خاصة فيها ما يتعلق بالأوامر والنواهي، والعموم والخصوص، والمحكم والمتشابه، وغيرها من الدلالات.

وهنا ينبغي التنبيه إلى "أن اللغة التي يرجع إليها ويؤخذ بها هي: اللغة المعروفة في عصر نزول القرآن، والعبرة بما تدل عليه الألفاظ في ذلك العصر، لا بالدلالات الحادثة بعد ذلك، فكثيرا ما تتطور دلالات الألفاظ والجمل والتراكيب بتطور العصور وتطور المعارف والعلوم، ويتدخل العرف أو الاصطلاح أو غيرهما بإعطاء

1 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، (5/1)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ

2 مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص (340)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ.

3 الموافقات، الشاطبي، (102/2).

دلالات جديدة للألفاظ والجمل لم تكن لها في عصر النبوة، فلا يجوز أن نحكم هذه الدلالات الجديدة في فهم القرآن"[1] .

جاء في الموافقات: "لابد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان العرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجرى في فهمها على ما لا تعرفه"[2].

3. الاهتمام بالمعنى والسياق

بناء على "أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، بل التفقه في المعبر عنه، وما المراد به، **هذا لا يرتاب فيه عاقل** "[3] وهذا ليس معناه عدم النظر كلية إلى الألفاظ لأنه لا سبيل لإدراك المعاني إلا بها "فاتباع أنفس الصيغ التي هي الأصل واجب لأنها مع المعاني كالأصل مع الفرع ولا يصح اتباع الفرع مع إلغاء الأصل" [4].

من أجل ذلك نقل الصحابة السياق والقرائن، والتي نقلها عنهم التابعون وتابعوهم فصدور الكلام في حال ومقام يختلف عن صدوره في حال ومقام آخر، فهذا له سياق يختلف عن سياق الآخر، والقرائن التي تحف بالكلام لها أثر واضح في فهم مراد المتكلم من كلامه [5].

4. معرفة أسباب النزول

إن معرفة سبب نزول الآية لا يقتصر على توثيق حقائق تاريخية أحاطت وقت نزول النص، بل هو سبيل يعين لفهم النص والتدبر فيه، **فإن مما ينبغي التنبه له أن سبب النزول مجرد معين على فهم الآيات القرآنية التي نزلت على أسباب، وليس السبب منشئا للآيات، ولا هو العلة في الإنزال أو التشريع.**

فالوقائع مناسبات للنزول، وظرف زمان نزلت فيه الآية، فالعلاقة بين الواقعة والنص القرآني لا تعدو علاقة الاقتران، ولا تدخل أبدا في باب" العلة العقلية" التي يلزم من وجودها وجود المعلول، ومن انتفائها انتفاؤه[6].

1 كيف نتعامل مع القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، ص (232)، دار الشروق، الطبعة السادسة 2008م.

2 الموافقات، للشاطبي، (131/2).

3 المصدر نفسه، (262/4).

4 المصدر نفسه، (412/3).

5 مقاصد الشريعة الإسلامية تأصيلا وتفعيلا، حمد بكر إسماعيل، ص (167)، الناشر: دار طيبة- مكة المكرمة، الطبعة الأولى، سنة النشر:1427هـ.

6 علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمد سالم أبو عاصي، ص (61)، الناشر: دار البصائر القاهرة، الطبعة الأولى، 1426 هـ

ورد الإمام السيوطي على كل من زعم أن لا فائدة من دراسة سبب النزول فقال: "زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن - يقصد علم أسباب النزول- لجريانه مجرى التاريخ وأخطأ في ذلك بل له فوائد منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم"[1].

وقد قسم الطاهر بن عاشور أسباب النزول إلى خمسة أسباب نذكرها مجملة:

الأول: هو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه فلا بد من البحث عنه للمفسر، وهذا منه تفسير مبهمات القرآن.

والثاني: هو حوادث تسببت عليها تشريعات أحكام وصور تلك الحوادث لا تبين مجملا ولا تخالف مدلول الآية بوجه تخصيص أو تعميم أو تقييد، ولكنها إذا ذكرت أمثالها وجدت مساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها.

والثالث: هو حوادث تكثر أمثالها تختص بشخص واحد فنزلت الآية لإعلانها وبيان أحكامها وزجر من يرتكبها.

والرابع: هو حوادث حدثت وفي القرآن تناسب معانيها سابقة أو لاحقة فيقع في عبارات بعض السلف ما يوهم أن تلك الحوادث هي المقصود من تلك الآيات، مع أن المراد أنها مما يدخل في معنى الآية ويدل لهذا النوع وجود اختلاف كثير بين الصحابة في كثير من أسباب النزول.

والخامس: قسم يبين مجملات ويدفع متشابهات.[2]

فهذه جملة من الضوابط يجدر بالمفسر مراعاتها والأخذ بمقتضاها حتى يكون نظره في النصوص سديدا واستنباطه للمقاصد من الآيات محكما مفيدا.

-أنواع التفسير المقاصدي

تكمن أهمية أن يعرف المفسر أنواع مقاصد القرآن الكريم بها تنكشف أمامه أمور كثيرة، وتضح له معالم وآراء وترجيحات وتفسيرات لم تكن لتتضح له دونها وهي خمسة أنواع:

أولا: المقاصد العامة للقرآن الكريم:

وتعرف بأنها: "ذلك النوع الذي يبحث في الغايات الكلية والعامة للقرآن الكريم، وقد تحدث القرآن الكريم بنفسه عن هذه المقاصد"[3]، وقد عرفها د. عبد الكريم حامدي بقوله: "هي تلك الأغراض العليا الحاصلة من

1 الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، (107/1)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ

2 انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (47/1).

3 نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم، وصفي عاشور أبو زيد، ص (21)، دار النشر: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1440هـ.

مجموع أحكام القرآن"[1]، وقال: " هي الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد، فالغايات المراد بها المعاني والحكم المقصودة من إنزال القرآن، وهذه الغايات تهدف إلى تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل"[2]. ثم بين وصفي مقاصد تندرج تحت هذا النوع فقال: "والمتأمل في هذا النوع من المقاصد يمكنه أن يأتي بمقاصد أخرى للقرآن الكريم، ومطلوبات من المكلفين، فالقرآن يريد منا أن نترك الجرائم والخطيئات؛ فردية كانت أو جماعية، ويريد من أن نعمل الصالحات، ونفعل الخيرات ويرحم بعضنا بعضا، ونبني المجتمع بناء صالحا طيبا، والقرآن يدعونا لنشر الخير والصلاح، ويحصل التمكين لأهله، ويريد منا أن نعمل لخير هذه الإنسانية، وفلاحها ونجاتها وإسعادها بما نحن أمة الخيرية والشهادة على العالمين"[3].

ثانيا: المقاصد الخاصة للقرآن الكريم:

وهي المقاصد التي تتناول موضوع معين يقول وصفي أبو زيد: "هذا النوع من المقاصد هو الذي يبحث في مقاصد خاصة، ليست مضطردة في القرآن كله، في جميع سوره، أو جميع آياته، وإنما لها نطاق محدد ومجال معين تعمل فيه"[4] وتنقسم إلى نوعين: الأول مقاصد خاصة بمجال من المجالات، أو شعبة من الشعب، مثل: مجال العقائد، مجال العبادات، ومجال الزواج والطلاق ويكون ذلك باستقراء الآيات التي تحدثت عن المجال والتدبر في آياته وتصنيف، ومن ثم الوقوف على مقاصد هذا المجال أو ذاك. الثاني مقاصد خاصة بموضوع من الموضوعات في سورة معينة، كاليهود في القرآن، أو التقوى في القرآن، أو يوسف في القرآن، وخطواته في جمع الآيات القرآنية وتفسيرها، وبعد الجمع والتأمل والتدبر يتبين مقصد القرآن الكريم من موضوع من هذه الموضوعات.

ثالثا: مقاصد سور القرآن:

وهذا النوع كما يقول وصفي أبو زيد: " يتطلب القراءة المتأنية للسورة، والتدبر العميق فيها، ولملمة أطراف موضوعاتها، والتفحص في أبعادها جميعا، والنظر في أهداف كل موضوع، ثم التأمل في النهاية لاستخلاص المقصد الأكبر من السورة، وهو – على أي حال- نوع اجتهادي تلمسي يأتي عبر مسالك وطرق للوقوف عليها، وتدور أغلبها حول التدبر والتأمل"[5].

رابعا: المقاصد التفصيلية لآيات القرآن الكريم:

1 مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، ص (47)، دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى 1429هـ.

2 المصدر نفسه، ص (29).

3 نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم، وصفي عاشور أبوزيد، ص (23).

4 المصدر نفسه، ص (25).

5 المصدر نفسه، ص (30).

من خلال هذا النوع يتم تتبع كل آية على حدة بشرط أن يكون المفسر على دراية تامة باللغة العربية فهذا النوع يهتم باستخراج المراد من الآية والمقصد المرجو منها والحكمة المنشودة من إيرادها، يقول وصفي أبو زيد: " هذا النوع يهتم بالآيات كل آية على حدة، ويحتاج المفسر هنا إلى التعمق في اللغة العربية والتمكن من دلالاتها، وطرائق استعمال العرب لها وسياقات إيرادها ودلالات هذا الإيراد في هذه السياقات، وهو ما يسمى بالسياقات المقالية، وهذا له أثره الواضح في التعامل مع القرآن الكريم بما هو كتاب عربي مبين"[1].

خامسا: مقاصد الكلمات والحروف القرآنية:

وهذا النوع يهتم بالكلمات والحروف التي تعد أجزاء أساسية من بنية النظم القرآني، وذلك باختيار كلمات تناسب السياق العام للآية والسورة تتسق مع المقصد العام والأغراض التي يساق الكلام من أجلها.

1 المصدر نفسه، ص (37).

المطلب الثاني: ترجمة الإمام الصفدي والتعريف بتفسيره (كشف الأسرار)

- **ترجمة الإمام الصفدي: اسمه، ونسبته، كنيته، ولادته:**
- اسمه: يوسف بن هلال بن أبي البركات الفقيه الحنفي الطبيب[1].
- نسبته: الحلبي[2]، الصفدي[3].
- كنيته: يكنى بأبي الفضائل، جمال الدين[4] ، أبو الفضل[5].
- ولادته: ولد سنة إحدى وستين وستمائة[6]، بالشغر[7]، ثم قدم إلى صفد ونشأ بها، ثم انتقل إلى القاهرة وخدم في جملة أطباء السلطان والبيمارستان المنصوري[8].

1 ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي(المتوفى:764هـ)، (164/29)، دار النشر: دار إحياء التراث بيروت 1420هـ، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، تاج التراجم، ابن قطلوبغا (ص321)، الأعلام، الزركلي (256/8).

2 حلب: مدينة عظيمة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة التربة. لها سور حصين وقلعة حصينة، وأهلها سنية وشيعية، انظر آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: 682هـ)، ص (183)، الناشر: دار صادر بيروت. ومعجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (المتوفى: 626 هـ)، (282/2)، الناشر: دار الفكر- بيروت.

3 صفد: مدينة في سفح جبل، صحيحة الهواء، خفيفة الماء يحمل إليها الماء على الدواب من واديها، ولها قلعة قل أن يوجد لها شبيه، وهي قلعة حصينة على جبل تلتف بها جبال وأودية. انظر مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: 749هـ)، (541/3)، الناشر: المجمع الثقافي – أبو ظبي، الطبعة الأولى 1423هـ.

4 ينظر: أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: 764هـ)، (671/5)، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، 1418 هـ

5 ينظر: تاج التراجم في طبقات الحنفية، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: 879هـ)، ص (321)، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، 1413 هـ

6 ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: 874هـ)، (279/2)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

7 الشغر: كلمة الشغر إذا كانت عربية الأصل فهي مأخوذة من شغر البلد إذا خلا من الناس، ويقال: بلد شاغر إذا لم تمتنع من غارة، وبلاد شغّر. والأقرب أن تكون هذه الكلمة سريانية معناها الثغور، وذلك أن هذه البلدة أول ثغور سوريا، والأتراك يلفظونها الشغور. وكان الشغر قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق كل واحدة تناوح الأخرى، والجسر كان يعبر فوقه من إحداهما إلى الأخرى». نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، الشهير بالغزي (المتوفى: 1351هـ)، (342/1)، الناشر: دار القلم، حلب، الطبعة الثانية، 1419 هـ.

8 البيمارستان المنصوري: كان أعظم بيمارستان وكلية طبية أنشئ في القاهرة منذ خمسة قرون أو ستة، عدة مارستانات تضم الأعلاء والمرضى والمجانين، ولم يبق منها سوى مارستان واحد هو مارستان قلاوون، تجتمع فيه المجانين من الجنسين. ومارستان القاهرة هذا لا يزال أكثر شهرة من مارستان دمشق، وقد كان في الأصل مخصصًا للمجانين ثم جعل لقبول كل نوع من الأمراض، وصرف عليه سلاطين مصر مالا وافرًا، وأفرد فيه لكل مرض قاعة خاصة وطبيب خاص، وللذكور فيه قسم منعزل عن قسم الإناث. وكان يدخله

***عقيدته، مذهبه الفقهي:**

- **عقيدته:**

إن سلامة العقيدة والاستقامة تظهر في تفسير الإمام الصفدي - رحمه الله- من خلال دفاعه عن أهل السنة والجماعة، وثنائه عليهم في أكثر من موضع، وتصديه لأهل الأهواء والبدع[1]، ولم يعثر في هذا التفسير على موضع يقدح في عقيدته، أو يظهر ميله إلى أي فرقة من الفرق.

- **مذهبه الفقهي:**

تجمع كتب التراجم على أن الصفدي حنفي المذهب، ونسب إليه، فقيل الصفدي الحنفي[2].

- **مؤلفاته و آثاره:**

1. كتاب «كشف الأسرار وهتك الأستار»، مخطوط في التفسير قام بتحقيقه بهاء الدين دارتما من مركز البحوث الإسلامية في إسطنبول عام 2019م.
2. «أرجوزة في الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي»، ولم يعثر على هذه الأرجوزة، وإنما ذكرها المترجمون للمفسر الصفدي.
3. عين السعادة عن حسن الإرادة.

- **وفاته:**

بعد حياة حافلة بالعلم والعمل والرحلات والتأليف وخصوصًا كتابه: كشف الأسرار وهتك الأستار، انتقل العالم يوسف بن هلال الصفدي - رحمه الله- إلى جوار ربه في سنة 696هـ، ودفن بالقاهرة[3].

وقيل: مات في عشر السبعين في المحرم، بالقاهرة، من سنة ست وسبعين وستمائة[4].

كل المرضى فقراء وأغنياء بدون تمييز. تاريخ البيمارستانات في الإسلام، الدُّكْتُور أَحمد عِيسى (المتوفى: 1365هـ)، ص (101)، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 1401 هـ

1 كشف الأسرار وهتك الأستار، يوسف بن هلال الصفدي(المتوفى:696هـ)، (1/176-301-311-358)، (2/551-559-584)، (3/351)، (4/457-506)، بتحقيق الأستاذ بهاء الدين دارتما، مكتبة الإرشاد، الطبعة: 2019 م.

2 ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي، (29/164)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، (15/848)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 2003 م.

3 ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، (29/164)، وأعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي (5/671)، تاريخ الإسلام، الذهبي، (15/848)، الأعلام، الزركلي، (8/256)، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (13/340)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

4 تاج التراجم، بْنُ قُطْلُوْبَغَا، ص (321).

والراجح أنه توفي في سنة 696هـ، وذلك بدلالة ما ذكره في أواخر تفسيره بأنه انتهى من تبييضه في سنة 686هـ حيث ذكر في تفسيره ما نصه: «وكان الفراغ من تبييضه في جامع الحاكم بالقاهرة في نصف رمضان المعظم سنة ست وثمانين وستمائة، أحسن الله الخاتمة لكاتبه وقارئه وسامعه وجميع المسلمين»[1]،وهذا ينافي ما نقل بأن وفاته في سنة 676هـ.

- **التعريف بتفسير: (كشف الأسراروهتك الأستار):**

يعتبر تفسير (كشف الأسرار وهتك الأستار) من أهم المخطوطات التي حققت في العصر الحديث، فقد كُتب في القرن السابع الهجري ، وكانت فترة اضطراب العالم الإسلامي وقتها ، وبعد سقوط بغداد عام 1258 م تم نقل مركز الثقل العلمي إلى القاهرة تحت حكم المماليك، وهنا تظهر شخصية جمال الدين الصفدي - رحمه الله- فقد كان طبيبا ماهرا جدا على المذهب الحنفي، والمشهور عنه أنه كان يعالج الفقراء مجانا، ومن خلال رحلاته من صفد لحلب حتى استقر في القاهرة، كتب كتابه (كشف الأسرار وهتك الأستار) فاستغرق من حياته أكثر من عشرين سنة، يتتبع لكل من كتب قبله في التفسير ويقول: " لم أترك أي مسألة صعبة إلا وبحث عنها" . وبعد الانتهاء من الكتابة قضى سبع سنين يراجع ما كتب، ولم تكن مراجعة لغوية فحسب، بل كان يعيد النظر في أفكاره، ويضيف ما فتح الله به عليه من فهم جديد، وفي سنة 686هـ جلس في جامع الحاكم بالقاهرة وكتب النسخة النهائية أو بما يسمى ب(التبييض) وبسبب حجمه الكبير وتكلفة نسخه بقي قرونا لم ينتشر بسهولة، وكان معروفا عند المتخصصين فقط.

منهج الإمام الصفدي في تفسيره (كشف الأسراروهتك الأستار):

فسر الشيخ القرآن الكريم تفسيرًا سهلاً وملخصًا، ويعد تفسيره بالرأي المحمود فاستعمل عبارات سهلة الفهم على العوام، وتجنب الكلمات المبهمة، ووضع مكانها ما هو بسيط ومفهوم، وصاغ تفسيره بأسلوب رصين، لا صعوبة فيه، ووضع لنفسه منهجًا سلك من خلاله تفسير القرآن الكريم، الذي ليس بالطويل الممل، ولا بالصعب المعجز، ولا بالقصر المخل، ويظهر ذلك لمن يقرأ مقدمة وخاتمة تفسيره.

وقد جاء تفسيره يحمل بين طياته ما هو رصين من علوم مختلفة من العلوم الإسلامية، غير أنه قليل النقل وهذا يدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه بالعلوم الشرعية التي أهلته لتفسير كتاب الله العزيز.

ذكر المؤلف أنه سلك مسلك الاجتهاد فقال: «ولا يقلد فيما أمكن له تحقيقه أحدًا من العباد، وهذا وإن كان أمرًا نفيسًا في نفسه خلاف المعتاد، وإن تعذر عليك قبوله أو فهمه فلا تسلك معه سبيل العناد»[2].

1 ينظر: ملخص كشف الأسرار وهتك الأستار، الخربوتي، النسخة (أ)، مخ (410)، وفي النسخة (ب)، مخ (347).

2 المصدر السابق.

وفي موضع آخر يقول رحمه الله: «اعلم أنني متى قصدت بيان حكم من الأحكام أو معنى من المعاني عدت إلى اعتبار الأحسن لا الحسن، فما في العقل إن كان عقليًا، أو فما في الوجود إن كان وجوديًا، أو منهما معًا، ثم أعود إلى اعتبار اللفظ الدال على ذلك المعنى فاقصد أحسنه لأحسنه ثم أطابق بين أحسن المعاني وبين أحسن اللفظ الدال عليه المحيط به، فاظفر بحقيقة المعنى المقصود»، «...ولم أكن من يقلد في العربية كل قائل نقلاً، وأنا أجد تحقيق ألفاظها عقلاً مع موافقة أرباب أصولها تصريفًا»[1].

ونجده قد أوصى – رحمه الله- من يقرأ هذا الكتاب بقوله: «ولا أقول لأحد قلدني، فلست مقلدًا ما أمكنني أن لا أقلد فيه، وأنا بريء من أثم مقلدي، فلا أراني لذلك أهلا، ومن كان ذا نظر فلينظر، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فإني أسأل الله أن يعينني على العمل بما علمني ليكون ما وصل من علم الكتاب حجة لي لا علي، فقد اتضحت المحجة وقامت الحجة، وأسأله المغفرة وحسن الخاتمة لي ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين»[2].

1 ملخص كشف الأسرار وهتك الأستار، الخربوتي، تعليقة النسخة (ب)، مخ (232).

2 المصدر السابق، مخ (409).

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لمعالم التفسير المقاصدي عند الإمام الصفدي

سنعرض فيما يلي نماذج منتخبة من تفسير كشف الأسرار وهتك الأستار للإمام الصفدي تتجلى فيها معالم التفسير المقاصدي لهذا الإمام الجهبذ:

بيان المقاصد العامة للقرآن:

من أنواع التفسير المقاصدي بيان المقاصد العامة أو العليا في القرآن الكريم، والتي وإن اختلف العلماء في عدها وحصرها فهم متفقون أنها التوحيد، التزكية، والعمران، وإقامة العدل والحق والرحمة، وسنحاول استجلاء هذه المقاصد من خلال سفر كشف الأسرار وهتك الأستار للإمام الصفدي، وفيما يأتي نماذج توضيحية:

- **مقصد التوحيد:**

يعتبر التوحيد أهم مقصد قرآني أنزلت من أجله الكتب وبعثت لتحقيقه الرسل، وقد اهتم الإمام الصفدي بإبراز هذا المقصد اهتماما بالغا في تفسيره وبيان ذلك في كثير من المواضع نذكر منها:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56].

يقول الإمام الصفدي: [أي ليكونوا أهلا لعبادتي ولا تفهم أنه خلقهم لسبب موجب عليه أن يخلقهم وهو العبادة لأنه تعالى إذا خلق مخلوقا لشيء فلا بد من وقوع ذلك الشيء وإلا يعود الخلق باطلا والخالق عاجزا جلَ وعلا وإذ لم تفهم معنى قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ عارضه من عبد اللآت والعزى، ولكن معناه أي ما خلقتهم على ما هم عليه من التمكن والقدرة والاختيار ليعبدوا غيري بل ليكونوا متمكنين من عبادتي بما أنعمت به عليهم فأجزهم بالإحسان إحسانا، وهذا هو الذي قيل إنه علة خلق الخلق][1].

مثال آخر: في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1-2-3- 4]

قال الإمام الصفدي -رحمه الله-: [فقد صح أن الله تعالى ضرب الأمثال لنفسه وتنزه عن المثل فهذا ظاهر الكلام ويفهم من قوله ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أنه ليس وعا العالم ولا يناقضه وأحاط بكل شيء علما فأحاطه علما وإن كانت ممثلة لنا بإحاطتنا علما بمعلوماتنا فهي منزهة عن المثل وإن دخلت في باب التمثيل للتفهيم، ولهذا بعده ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد﴾، وحقق الجميع بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فلو كان علمنا كعلمه لكنا له أكفاء في العلم وكذلك في كل وصف، وقد انتفى ذلك فيجب أن يكون انتفاء مطلقا عاما بكل صورة واعتبار؛ ليكون هو العلي العظيم وحده فيصبح حينئذ في أفهامنا أنه أحد، وإيضاحه أن الأحد لا تركيب فيه ولا عدد فلو كان معدودا لتكثر، ولو كان مركبا لتحلل وفي الواحد العددي عبرة للمستبصر، وذلك أن الواحد إذا ذكر لم يكن

1 - مخ (226).

معد غيره فلا وجود ولا ذكر إلا واحد، فإذا ذكرت ثانيا لم يكن مع الواحد غيره بل هو مع غيره فافقه. فإن اعترضت قلة الفهم فقل أن الواحد لا عدة فيه، وإنما العدد بعده فلو انعدم العدد فما كان وجوده بالتركيب أمكن تجليله فانعدم، وما لا تركيب فيه ولا وجود لغيره لم يمكن انعدامه، فالواحد مع العدد وليس العدد مع الواحد بل به؛ لأن الواحد شفع العدد فأخرجه عنه بصورة وأوتره فأعاده إليه بصورة أخرى][1].

فهذه الأمثلة تتفق على بيان مقصد التوحيد وهو أهم المقاصد القرآنية، والغاية الأولى التي من أجلها شرع الله الشرائع وأرسل الرسل.

- **مقصد التزكية والأخلاق:**

من المقاصد العامة أو العليا للقرآن الكريم التزكية أو الأخلاق الفاضلة، وفي تفسيره يبين الإمام الصفدي مواضع عديدة لهذا المقصد ويتناوله بالشرح لكن دون الإطناب، وفيما يأتي بعض النماذج:

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان:70].

قال الصفدي-رحمه الله-: [الإبدال يكون للإبدال وهم الذين بدلوا مكان السيئة الحسنة، فبدلوا من أخلاقهم ونياتهم وعقائدهم وأفعالهم ما استحقوا به أن يبدل الله سيئاتهم حسنات، فصار كل رجل من الخلف بدلا من السلف].[2]

نلاحظ حصافة ذهن الإمام الذي بين إبدال السيئة حسنة ما هو إلا نتيجة إبدال أخلاقهم ونياتهم وعقائدهم وأفعالهم، ومن التزم به تحقق فيه المقصد وهو العصمة من الشيطان الرجيم.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30].

قال الصفدي –رحمه الله-: [لما ذكر أنه نعم العبد بين لماذا؟ فقال إنه أواب، فبهذا كان نعم العبد ولا يكون أوابا إلا أن يفتتن فيتوب من الفتنة، سواء افتتن بها أم رجع عنها دون الافتتان، وهذا الذي يذكره عنه جميعه إنما هو على سبيل التعظيم له والمدح][3].

بين –رحمه الله- أن مقصد الآية هو الوعظ والإرشاد؛ لتهذيب النفوس وتزكيتها، وهو الحكمة المذكورة في القرآن لكل ذي لب، فهذه الآيات تبين أن التحلي بالأخلاق الفاضلة وتهذيب النفوس وتزكيتها هو مقصد رئيس من مقاصد القرآن الكريم.

- **مقصد إقامة الحق والعدل:**

1 - مخ (333).

2 - مخ (122).

3 - مخ (180).

قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55].

قال الإمام رحمه الله: [قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ذو مكانة وتمكين من دولتنا أمين على الأموال والأرواح إذ تحققت براءته وأمانته ومكانته من العلم، فلما قال الملك ذلك من تلقاء نفسه، قال اجعلني على خزائن الأرض، يريد أرض مصر وفيه إشارة إلى أنه لو جعل أمينا على خزائن الأرض جميعا لكان كفؤا لذلك، وإنما قال يوسف ذلك طاعة لله وعباده لما رأى أنه قد تعين عليه مصلحة الخلق بالعلم الذي أتاه الحق، وأنه قادر على ذلك دون غيره من الناس، ولم يقله رغبة في الدنيا وما يتعلق بها بل وجب عليه إظهار ما عنده من فضل الله فقال إني حفيظ عليم][1].

فطلب يوسف للمسؤولية؛ لأنه كان قادرا على تحملها، ومقصده تحقيق مصالح العباد وتحقيق العدل وإقامة الحق، فهو الأولى بتحملها. ومقصد إقامة العدل مطرد في القرآن الكريم ولا يسع المقام لذكر المواضع جميعا.

- **مقصد الرحمة:**

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى:8].

قال الصفدي –رحمه الله-: [وأما الرحمة فإنه إنباء عن سعتها بحيث أنه لو شاء لرحم الكل بغير عمل، وفائدة هذا التعريف أن العاصي إذا علم أنه تعالى له أن يدخل من لا يستحق إن شاء عاد هذا طامعا أن يكون ممن يشاء الله فلا ينقطع حسن ظنه بربه، وإن اتصل سوء ظنه بنفسه لسوء عمله].[2]

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: 28].

قال رحمه الله: [هذا تصحيح ما قلناه من الإحسان إلى الوالدين ولو كانا كافرين، إيمان ذلك الإعراض يكون؛ لأجل أنك تبتغي رحمة ترجوها من الله، كما يعرض من أسلم عن أبيه أو قرابته وصاحبه، وهو يبتغي بالإعراض رحمة نفسه يميله عنه فيضطره بإعراضه عنه إلى الإسلام].[3]

ومقصد الرحمة نستشفه من أول القرآن ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إلى آخره، رحمة الرحمن بخلقه ورحمة العباد فيما بينهم.

***بيان المقاصد الخاصة للقرآن الكريم**

1 - مخ (33).

2 - مخ (195)

3 - مخ (57).

المقاصد الخاصة للقرآن الكريم يقصد بها ما تتصل بدائرة تشريعية خاصة أو موضوع معين أو مجال من المجالات، وفيما يأتي بعض النماذج التوضيحية التي استقيناها من هذا السفر "كشف الأسرار وهتك الأستار".

- **مقاصد حفظ الأسرة:**

كثر حديث القرآن الكريم عن الأسرة وكيفية حفظها من جانب الوجود، وكذا حفظها من جانب العدم، ويبين الشارع الحكيم مقاصد الأحكام الشرعية الخاصة بها ويمكن ذكر بعض هذه المقاصد التي نستشفها من بعض آي القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: 3].

قال الصفدي رحمه الله: [وإذا تأملت الكلام مرات فهمت صورة ما جرى وفقهت أن النبي –عليه السلام- خاف على قلوب المؤمنين أن يطرق أسماعهم عنه من زوجته حديث لا يفقهونه فيظنوا به غير الواجب فيحصل الإثم العظيم، فعرفهم هو بعض الحديث بحيث إذا سمعوه عنه علموا صورة الحال مما سمعوه منه، ولم يقل عرفهم أو عرفها بل عرف أي لمن اتفق لنعلم أن هذه القضية لم تكن عظيمة ولا واجبا عليه تعريفها للجميع؛ بل إنما فعل ذلك شفقة منه – عليه السلام- فلما نبأها به بعد ذلك قدام صاحبتها كأنه قال ما معناه: إنكِ قلتِ لهذه كيت وكيت قالت المنبئة متعجبة من أنبأك هذا].[1]

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:3].

قال رحمه الله: [ونحن إنما قصدنا أن نبين نص الكتاب لا غير، وقد فصّل الله الوقائع الوجودية نصّا وعقلا كما بيّنا في سورة النساء فقوله: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ ﴾ هما ذكران، وقوله: ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ هما أنثى مع أنثى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ هما كل أنثى مع ذكر، هذا مفهوم النص قرآنا وعقلا ووجودا لا غير، واللغة تلزم به، فذكر الله القسمتين في سورة النساء وذكرهما هنا، وجعل الحدود على هذه الذنوب الثلاث مختلفة نصا واجبة عقلا، ومن لم يكن من أهل الاجتهاد فلا نفع له بهذا الكتاب إلا بما يجده فيه من غيره، والمراد إنما هو بيان ما لا يوجد في غيره أو ما وقع فيه الخلاف يعلم ذلك من نبذ التقليد واقتحم محجة الإنصاف ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا فرض آخر حرم فيه زواج الثاني وجعله كالمشرك، ومعناه من تزوج زانية أو مشركة فهو الزاني أو المشرك، ومن تزوجت

1 - مخ (274).

زانيا أو مشركا فهي الزانية أو المشركة، فهذا نهي للرجال ونهي للنساء؛ لهذا جاء من الطرفين وقد كان يغني ذكر أحدهما لو كان المراد غير ذلك].[1]

من مجموع ما سبق من الآيات وتفسيرها يتبين أن المقصد الأعظم فيها هو حفظ النسل والأسرة، وذلك بتحريم ما يؤدي إلى هدم هذا المقصد، فشدد على بيان مقاصد كل حكم تفصيلي حتى يتضح ما يؤول إليه من فساد العائلات والأسر والمجتمعات.

- **مقصد ضرب الأمثال في القرآن الكريم:**

وضح الإمام الصفدي- رحمه الله- المقصد من ضرب الأمثال؛ لأنه أكثر تأثيرا في نفس وقلب السامع، والإمام لا يستخرج المقصد معتمدا على نفسه فقط بل يستدل بما وقع تحت يديه من كتب.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: 3].

قال رحمه الله: [فاعلم أن الله تعالى ضرب الأمثال لنفسه ولغيره، ولا تكون الأمثال إلا بما هو معلوم مستقر في الأذهان والأفهام، والعرش يعبر به عن تعظيم أمر الملك في أنفس الناس كقوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ فوصفها بما هو مبني عن عظم القدرة، وإن كانت قادرة على غير ذلك كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ويقال عن السلطان استوى له الأمر وقعد على سرير المملكة بالبلدة الفلانية وإن لم يدخلها وهذا كقول: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ إشارة إلى البخل والعجز، وظاهر أنهم لم يقولوا بأن على يد الله غلا على طريق من الحقيقة، ولهذا جهّل المسلمين يلزمونهم بذلك ظاهرا فينكرون ذلك، إذ ليس في صريح التوراة ولا في صريح أقوالهم مثل ذلك ولم يسمع طائفة منهم ادعت ذلك].[2]

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21].

قال رحمه الله: [وأن الله ضرب له مثلا؛ ليعلم منه داوود إنما فتناه فيتوب، فهذه القصة مسطورة عندهم مطولة مفصلة إلى الآن ، ويجب أن تعلم أن الله تعالى لم يذكر ذلك عن داوود وموسى ويونس -عليهم السلام- ذاما لهم، ولا أن الله تعالى أراد منا أن نتأول وننفي الخطأ عنهم، وإنما أراد أن لا يقنط أحد ولا ييأس من فضل الله، وإن أخطأ بواحدة من هذه لا يظن أن الله أغلق عليه باب التوبة، بل يدري أن الإنسان من حيث هو بشر يخطئ ولو كان نبيا ، وأن الأنبياء كانوا بشرا ولم يكونوا آلهة ولا ملائكة ولم يكونوا معصومين إلا من الكذب خاصة كما بيناه ، وإذا كان مثل الأنبياء يجري لهم مثل ذلك ويستغفرون فيغفر لهم فيجب أن نطمع نحن أيضا في المغفرة؛ لأن الجهل منا والتقصير والغفلة والبعد عذر لنا عند الله سبحانه، ونحن أولى بأن يعفوا عنا إذا

1 - مخ (111).

2 - مخ (152).

أتينا والأولوية قرب لكنا لما كنا أولى بالخطأ فنحن أولى بالعفو فيها لغلبة الجهل فينا وقوة دواعينا، فإذا قهرناها إما نقهرها بالتوبة عنه كان جهادنا أشد من جهاد الأنبياء وعذرنا أبلغ من عذرهم، كما تعفوا عن الصغير الذي لا يعقل ولا تعفوا عنه إذا عقل، فافقه حكمة ما عرفنا الله به وفكر في مثله تجد كثيرا من مثل ما ذكرته، ويجب أن تقف مع المقاصد من ضرب الأمثال لا مع المعارضات المحتملة لألفاظ الأمثال، فإنك تعلم أن الملكين المتحاكمين عند داوود - عليه السلام - لم يعز أحدهما صاحبه في الخطأ، وأن أحدهما لم تملك تسعة وتسعين نعجة، ولا يقال أن هذا من الملائكة من باب الافتراء، ولا بقية الكلام كان المقصود به ظاهره، بل المقصود به صحيح في نفسه، ولا تفهم من الجنة والنار ومن أمثال ما ذكره الله في البعث وتبديل الأرض ظواهر الكلم فقط، بل افهم المقصود به، وإن كانت القدرة صالحة لذلك وغيره، فافهم في قوله: ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ وفي سائر الأسماء كما بينا في موضعه، وفي كل ما يشكل عليك وتريد أن تتخلق له تأويلا لتمشي كلام الله على الصورة الظاهرة التي تظن أنها المراد على كثافة وتجسيم مما لا يفهمه مثلك إلا كفهمك، ولا تضيع الوقت والزمان في مثل ما يضعه البطالون من الجهلة في بحثهم عن القرآن، هل هو بحروف وصوت، وقديم ومحدث، ونقطة وشكل وغير ذلك، مما ليسوا من أهله وهو عند أهله واضح معلوم لا يحتاج إلى الكلام فيه، فكأنهم عند ذلك يبحثون في تسع وتسعين نعجة، وكم كان فيهن بلقاء وقرناء، وكم كان عمر كل واحدة، وغير ذلك مما يحتمله السؤال وهو على الباحث فيه وبال، ومع هذا يكفر بعضهم بعضا ويلعنه، وتركوا ما لأجله ذكر الله ما ذكره، وشغلوا بغيره ويحسبون أنهم مهتدون، انتهى].[1]

ومن خلال التأمل والتدبر في هذه الآيات يلاحظ أن الإمام الصفدي في شرحه للأمثال القرآنية بيين أن مقاصدها بيان حال القوم لنتأمل ونتدبر.

- **مقاصد الإخبار بالغيب وذكر السابقين:**

تتعدد الآيات التي تسرد قصص السابقين وأخبار الغابرين، قد يتكرر سرد الحادثة وقد تذكر القصة مرة واحدة، وكل ذلك لغايات يبتغيها الشارع في كل مرة يورد هذه القصة أو يقص هذه الحادثة، ومن الأمثلة التوضيحية التي ذكرها الإمام الصفدي ما يلي:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:90].

قال رحمه الله: [وقوله: ﴿لَنْ نَقْدِرَ﴾ من القدرة، وهو من جنس قوله: ﴿مُغَاضِبًا﴾، وكقول موسى فأرسل إلى هارون، وهذا إخبار من الله سبحانه لنا بأن هؤلاء الأنبياء كانوا مكلفين مكرهين على ما كلفوا ومقاتلين منه، ولم يكونوا راغبين في الأمر والنهي، ويلزم من مفهوم هذا الكلام وجوب الزهد في الدنيا والخمول وترك التعرض

1 - مخ (178).

للولايات وما يجري مجراها، وأنه لا يجوز أن تقبل إلا كرها؛ لأنه إذا كان الأمر والنهي قد زهد فيه مثل هؤلاء، وذلك مع شرف الرسالة وعظم المرسل، وكثرة المرسل إليهم، وعلو قدر الرسول فيهم، وغير ذلك مما يتوقع من جزيل الأجر وجميل الذكر في الداريين، فكيف إذا كان الأمر جميعه بالضد فهذا بعض فوائد الإخبار بمثل هذه الأخبار، وعن مثل هؤلاء مضافا إلى أن هؤلاء كان لهم من الأنس بالله والتمكين أنهم يتكلمون يديه بما يعرض لهم وتنزع إليه نفوسهم كما يكلم المرء صاحبه، ولا يقال أن ذلك كفرا، ولا يجوز أن يصدر من نبيء، بل ذلك مما يدل على عظم قدر النبيء عند الله تعالى، فإن سذاجة القلب وقلة التعمق في تأويل الكلام وما شاكل ذلك دال على علو المرتبة عند الله تعالى، كما دل العاقل كون النبيء محمد صلى الله عليه وسلم أميا لا يعرف الكتابة ولا الشعر ولا مثل ذلك، ومع ذلك يوحى إليه مثل هذا القرآن، وهذا الكلام الذي أخبر الله به عن الأنبياء المذكورين هنا ليس المقصود به تعظيم الأنبياء فقط، وإن تضمن ذلك بل المقصود به أن الله تعالى ابتلى هؤلاء بمثل هذه البلايا، فدعوا فاستجاب لهم، وأيضا أن بعضهم مع جلالة قدره بدا منهم ما به استحق السجن في بطن الحوت، فلما اعترف ودعا فرج الله عنه، فالمراد ذكر المغفرة من الرب لا ذكر للذنب من العبد، ولما كان للأنبياء ومن دونهم وهم الأولياء لا يجوز لهم أن يكون لأحدهم مع ربه اختيار، وأراد الله أن يعرفنا أنهم غير مجبرين على الطاعة، بل يمكن أن يقع منهم ما قد وقع من يونس وداوود -عليهما السلام- وغيرهم.

كان في هذا الإخبار من الله **عدة منافع منها:** أن نعلم أن النبيء يجوز أن يقع منه ما يجب عليه الاستغفار من أجله، فمن نحن حتى لا نحترز، **ومنها:** أن الخاطئ بين يدي الملك مع معرفته بما لا يعرفه غيره منه هو أشد عقابا ممن عذره جهله، وإذا غفر سبحانه لمثل أولئك مع علمهم فنحن أولى بالطمع في رحمته لجهلنا، فبين لنا ذلك لئلا نقنط ونيأس، **ومنها:** تعليم العباد وأنه لا يجوز أن يكون لهم مع الله اختيار، ولو كانوا في رتبة الأنبياء فإن الله تعالى لا يسامحهم بل يعاقبهم إلى يوم البعث، إلا إن تابوا، **ومنها:** أن ذنبا يستحق به الإنسان أن يبقى إلى يوم البعث مسجونا في بطن الحوت قد جعل الله الاعتراف والتوبة تمحوه، **ومنها:** الإعلام بفضيلة الدعاء من الطائع كدعاء زكرياء -عليه السلام- في نيل المطلوب له ، ولو كان من الممتنع عرفا وعادة، ومن العاصي ولو كان قد أتى بعظيمة كيونس عليه السلام، ومن المبتلى ولو كان بأشد البلى كأيوب -عليه السلام- ، فإذا فهمنا ذلك ومثله تحققنا أن للدعاء فضيلة ورتبة لم تكن لنعرفها بغير هذه الإخبارات الإلهية التي لا شك في صدقها فيجب إجهاد النفس في الدعاء دائما؛ لأننا لا نخلو من حال في هذه الأحوال ولو كنا في رتب الأنبياء، وهذا المعنى من أشرف المطالب؛ لأنه دل على غاية التخويف لنا وغاية الرحمة منه سبحانه، وغاية الفضل إذ يعطينا بكلام نقوله ما يستحيل في العقل وقوعه، وإذ يجازى فلا يضيع عمل عامل وقال -رضي الله عنه- بعد آيات ثم رجع إلى وصف الخواص من الأواخر والأوائل].[1]

1 - مخ (98).

فمقاصد الإخبار بالغيب هي تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والتأكيد على أخبار من سبقوه من السابقين كما تحمل في طياتها إعجازا غيبيا يؤكد على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

- **مقاصد العقوبات:**

كل أحكام الإسلام شرعت لأهداف ومقاصد وغايات سواء عرفت علتها أو غاب عن أذهان الفقهاء والأصوليين مقصدها، ومن مقاصد العقوبات في الإسلام التي استقصاها الإمام الصفدي - رحمه الله- ما يلي:

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:4].

قال الإمام –رحمه الله-: [وهذا الجلد للشهداء يقتضي أن يمنع الشهداء من الشهادة ما لم يكونوا أربعة وأبلغ من الجلد قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾؛ لأن القاذف قد يقدّم على الجلد، ولا يقدّم على أن لا تقبل له شهادة أبدا ما لم يتب فليلتجئ إلى التوبة، وهذا فائدة قوله: ﴿أَبَدًا﴾، وأما أن يفرق بينهما بعد هذا فلا يظهر ذلك من هذا النص إلا إذا شهد الشهداء الأربع أو أقرت بحيث يثبت الحد فأما ما لم يثبت حد فلا فراق بل إن أراد الزوج يطلقها فله ذلك من بعد كما له من قبل، وليس لها أن ترمي الزوج كما له أن يرميها؛ لأن الله تعالى لم يبين ذلك لها فافهم ذلك من النص، وإن كانت حاملا الحق الولد بالزوج ما لم يجب الحد ولا يكون على الولد إثم أو ذنب لم يجترحه ومتى وجب عليها حدّ حرم عليه تزويجها، أعني البقاء معها، وحرم ذلك على المؤمنين إذ لو استمر معها لكان هو الزاني بها أيضا، إلا إذا تابت فإن الله يقبل التوبة ويجب الحدّ سواء كان قبل التوبة أو بعدها، هذا ما فهمته من النص والله أعلم بكلامه].[1]

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء:33] قال رحمه الله: [﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ سقط غيره ولزم انتفاء تأويل من قال فلا يسرف في القتل، أي لا يقتل غير قاتله أو لا يقتل اثنين بواحد؛ لأن الخطاب بالنهي الأول كاف، فبطل ذلك التأويل، وهذا المعنى يفهم بقراءة من قرأ بفتح القاف في قوله: ومن قَتل ثم يصح بضمها أيضا على تلك الصورة، وذلك الأصل المفهوم بعينه، فالمعنى ومن قَتل منكم مظلوما بفتح قاف قَتل فقد جعلنا لولي المظلوم تسلّطا على القاتل فافهم هذا أولا إذ لو كان على غير القاتل لعاد الولي أيضا كالقاتل الأوّل، فإذا فهمت ذلك رجع قوله فلا يسرف إلى القاتل الأوّل، ولما أشكلت لفظة الإسراف هاهنا].[2]

فبين - رحمه الله- المقصد والغاية من تشريع القصاص ألا وهو حفظ بقية النفوس بتوقف الاقتتال عن طريق الردع والزجر، فهي لم تشرع هباء، وإنما لحكم عظيمة ومقاصد جليلة.

1 - مخ (111).

2 - مخ (57).

- **مقصد الأحكام الشرعية:**

تعرف المقاصد الجزئية: أنها المقصد والغاية من كل حكم جزئي أو تفصيلي، وقد ذكر الإمام الصفدي – رحمه الله- علل بعض الأحكام الشرعية الجزئية وبين غايتها ومقاصدها، ومن أمثلة ذلك:

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: 6].

قال – رحمه الله -: [ويحتمل أن تقدير الكلام وأولوا الأرحام جاء في كتاب الله أن بعضهم أولى بوراثة بعض فيكون قوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ مبتدأ خبره في كتاب الله أي في هذا القرآن، وقد علمت أن هذا المكتوب في القرآن هو المكتوب في العلم الأزل فلا يختلف، وقد جاء في القرآن ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ الآية كما بيناه. فبهذه الآية لا يصح أن يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر لقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فلا يكون الكافر ولي المؤمنين وكذلك المؤمن فألوا الأرحام أولى بعضهم لبعض من المؤمنين والمهاجرين أي الذين هم أعلى رتبة من المؤمنين، ومن هذه الآية أخذ أبو حنيفة –رضي الله عنه - أن يعطى البنت إذا لم يكن للميت غيرها جميع التركة لا نصفها، ومن هنا أعطينا نحن الأم والأخت أو الزوج أو الزوجة أعني من انفرد من ذكر أو أنثى يأخذ الجميع، ولا يكون لبيت المال شيء وقد بيّنا صحّة ذلك في الفرائض بأدّلته].[1]

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:50].

قال رحمه الله: [وامرأة واحدة لا غير مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي هبة كالخادمة فأباحه بعد المذكورات امرأة واحدة فافهمه؛ لتزول المناقضة إن أراد النبي أن يستنكحها، أي إن شئت فقد جعلنا الأزواج وما أحللنا خالصة لك من دون المؤمنين، ولولا هذا التخصيص لجاز لسائر المؤمنين أن يتخذوا مثل هذه زوجة بعد الأربع كما جاز له –عليه السلام- اتخاذها بعد الأقسام الستة، وقوله: أن يطلب نكاحها بإذنها ومن وليها كبقية المسلمين والصّداق شرط كما بيّناه في البقرة، فتأمّل المقصود لتفهمه جيّدا، وفي ذلك نكتة لطيفة من جهة من هي مثل هذه المرأة ومن جهة الرسول –عليه السلام- يفقه ذلك المتأمّل له في باب الرياضة والترك ولما تخصّص بهذه الإباحة].[2]

1 - مخ (155).

2 - مخ (159).

في تفسير هذه الآية تجلت عبقرية الإمام وتمكنه من علوم الشرع، فهو المقاصدي الذي يعرض المقصد من الحكم، والفقيه الذي يسرد الآراء المختلفة في المسألة، مع بيان الرأي الراجح.

ومن خلال ما سبق يتبين أن الإمام الصفدي- رحمه الله- يتحرى بيان علل الأحكام الشرعية ومقاصدها فتكون أدعى للامتثال والتطبيق.

- **بيان المقاصد الجزئية للقرآن الكريم وكلماته:**

بعد التطرق للمقاصد العامة التي بينها الإمام الصفدي- رحمه الله- وكذلك المقاصد الخاصة بعدد من المواضيع والمجالات، فيما يلي سنحاول بيان المقاصد الجزئية الخاصة بآية أو مجموعة آيات:

-بيان المقاصد الجزئية للقرآن الكريم

اهتم الإمام الصفدي –رحمه الله- في تفسيره، اهتماما بالغا بإيراد المقاصد التفصيلية لكل آية على حدة، فكثيرا ما يورد لفظة المقاصد أو الغاية في تفسيره، ومن أمثلة ذلك:

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 64].

يقول رحمه الله: [فهي أصل كل بلاء وعذاب من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لكل ضال وكافر ومخالف فهي تخرج في أصل الجحيم بلا شك، ولما كان ما يتولد منها من الأفكار الرديئة، والمقاصد المهلكة، والنيات الموبقة كالرؤوس للأعمال الشيطانية؛ لأن الفكر رؤوس العمل شبهها الله بالنخلة: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ وصورة الشيطان يمثل بها وإن لم ترقط يقال كأنه شيطان أو كرأس شيطان، انتهى].[1]

وقال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص:21].

يقول - رحمه الله-: [ويجب أن تقف مع المقاصد من ضرب الأمثال لا مع المعارضات المحتملة لألفاظ الأمثال، فإنك تعلم أن الملكين المتحاكمين عند داود - عليه السلام - لم يعز أحدهما صاحبه في الخطأ، وأن أحدهما لم تملك تسعا وتسعين نعجة، ولا يقال: إن هذا من الملائكة من باب الافتراء، ولا بقية الكلام كان المقصود به ظاهره، بل المقصود به صحيح في نفسه].[2]

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

يقول- رحمه الله-:[ومرادنا هاهنا هو بيان مالا ريب فيه من أن العباد غير مجبرين؛ لأنه سبحانه لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالتولي عنهم لكفرهم وبالذكرى؛ لأنها تنفع المؤمنين منهم، قال تعالى معرفا لخلقه بأسرهم أنه لم يخلق غير المؤمنين؛ لأجل الكفر به دون المؤمنين، وإنما خلق الجميع أهلا لشيء واحد وهو عبادته، فإن قيل يلزم من قولك أنه تعالى خلقهم أهلا لعبادته أنه خلقهم أهلا لعبادة الشيطان أيضا، قلت الأمر كذلك لا

1 - مخ (174).

2 - مخ (179).

يزيد ولا ينقص، ولكنه خلقهم أهلا لعبادة الشيطان من أجل عبادة الرحمن، ولا يجوز العكس، وبهذه الصورة يظهر كمال الإحسان منه سبحانه، وذلك أنه خلقهم أهلا لعبادة الشيطان أو الرحمن، وأهلا بالكفر لما شاؤوا منهما، فإذا عبدوا أحدهما وكفروا بالآخر حصل لهم الغاية القصوى من النعيم أو الجحيم].[1]

وقال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 17].

يقول رحمه الله: [فيجب على العاقل أن ينزل الآلة محلها ويعمل بالأداة ما أمره الله أن يعمل بها؛ لأن الغرض المقصود من إيداع الله جميع الأشياء هو تقدير النشأة الأخرى العقلية التي هي الغاية والتمام].[2]

وبين - رحمه الله- كلامه فيما يتعلق بمسألة الصفات فقال: [وكذلك في الكلام على الصفات وما يتعلق بالبارئ تعالى، ومن نظر حق النظر لم يخفى عنه مقاصدي مما جئت به من ذلك، ولقد أبقيت لك في كثير من المواضع ما إذا فكرت فيه عرفته من نفسك، إذا سلكت فيه سبيل الاجتهاد في معرفته بما نهتك به، ولا تظن أنني قلت كلما يجب قوله، إذ لا طاقة لي بذلك، ولكني قلت ما استطعت من غير كتمان ولا ميل، وأنا استغفر الله من سوء النظر وأعوذ به من ركوب ما قد ارتكبته من الخطر].[3]

فالإمام - رحمه الله- لا يعتمد التفسير فقط ولا يكتفي بظواهر النصوص وألفاظها، بل يبين غايتها ومعانيها ومقاصدها.

- **بيان مقاصد الألفاظ والكلمات القرآنية:**

كلمات وألفاظ وحروف القرآن الكريم مقوم أساسي من بنية النظم القرآني، وكل كلمة لها حمولة لغوية واكتناز معنوي خاص لا تضاهيه فيه أي مفردة مرادفة أو مشابهة لها، لذا كان كل لفظ وكل كلمة يتناسب المقصد العام الذي سيق الكلام من أجله، ومن أمثلة ذلك:

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

يقول - رحمه الله-:[الصلاة أصلها في اللغة انحناء وانعطاف ، وهي من الصلوين وهما عرقان في الظهر إلى الفخذين يقال صلى عليه أي انحنى عليه رحمة، فالصلاة أصلها في المحسوسات ثم عبر بهذا اللفظ مبالغة بصورة الاستعارة لله تعالى كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64] لنفهم المعنى المقصود باللفظ المألوف، وأهل اللغة لم يفرقوا بين الصلاة والدعاء، وقالوا هي بمعنى الدعاء، والفرق بين ذلك هو أن الصلاة لا تقال إلا في حق المدعو له لا في حق العدو، فتقول صلينا على الميت ودعونا على العدو ففرق بين حال وحال، وإن كانت الصلاة بمعنى الدعاء ولكنها تميزت عنه؛ لأن الدعاء أعم فذكر الله الأخص للأخص من خلقه وأزال الاشتباه

1 - مخ (226).

2 - مخ (316).

3 - مخ (407).

من قبل بكونه جعل مثل ذلك لسائر المؤمنين بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: 43] ولما أمر بالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم نهى عن أذى يرد منهم إليه، وإن كان عائد ذلك عليهم لا عليه].[1]

فيبن الإمام الصفدي الأديب الأريب واللغوي الفذ معنى الصلاة في اللغة، وكيف أن أهل اللغة لم يفرقوا بين الصلاة والدعاء، فالقرآن الكريم يختار الكلمات بعناية فائقة لحصول المقصود منها.

قال تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: 3].

قال رحمه الله: [بتحريك اللام معناه من بعد أن قد صاروا مغلوبين ولفظة غلبهم مثل طلبهم، واعلم أن هذه الكلمة تقال بمفردها أعني بغير قرينة أخرى دالة معها على ذلك، تقول جاء القوم من بعد طلبهم طالب فهم مطلوبون، وتقول جاء القوم من بعد طلبهم ضيافة فزدت ضيافة لتنبه على القوم طالبون، وكذلك قوله من بعد غلبهم يريد من بعد أن قد صاروا مغلوبين، ولو أراد بلفظ غلبهم أنهم هم الغالبون لقال من بعد غلبهم لعدوهم، فتأمل ذلك وافهمه جيدا. فإن قلت لقد كان يغني قوله لو قال سيغلبون بضم الياء وفتحها، فاعلم أنه لو قال ذلك من غير أن يقول وهم لتغير المعنى، إذ كان يدل على روم فأمن جملة الروم ولم يرد ذلك بل أرادهم بأعينهم، أعني الذين غلبوا بضم الغين سيغلبون بفتح الياء، ولم يقل من غلبهم لئلا تشتبه بالغلبة التي هي كثرة الأصوات، فجزنا بهذا الكلام أن فارس غلبت الروم، فكأنه قال اليوم قد غلبت الروم بضم الغين، ولما كان الروم أهل كتاب وكانت البلاد لهم كالقدس وما جاوره وكان المؤمنون في قلة والمشركون يومئذ في كثرة ،والروم أهل كتاب فإذا غلبهم أهل فارس فرح المشركون من العرب بطريق الأولى من كونهم لا يصدقون بالأنبياء، ولما لم يكن الأنبياء بفرح المشركين مهما لم يذكر نصا بل فهم بالأولى من طريق اللزوم عن قوله يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله].[2]

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6].

يقول رحمه الله: [إذا عرفت من الكتاب والعقل صفات الشيطان لتجنبتها أغناك ذلك عن عرفان ذاته، وعن البحث عنها، وعن ذوات الجن وما يكون منها، واعلم أن الشيطان من شاط يشوط شوطا في الأرض وهو سرعة السير بها ، وهذا صورة ما جاء في لسان العبري والشيطان في الإنسان عبارة عن الخاطر الذي لا يستقر به الفؤاد، بل يشوط دائما ويهيم في كل واد، والخاطر خاطران علوي باق، وهو الملكوتي، وينقسم إلى أقسام هي بمنزلة الملائكة، وسفلي فان، وهو الذي أهبط من الجنة إلى الأرض، والجنة معناها مأخوذ من الاستتار للطفها وروحنتها؛ لأنها باقية، ومعنى الأرض الجسمانيات وما يتعلق بها من سائر الأغراض الفانيات فما كان من الخواطر روحانيا فهو ملكوتي، وما كان جسمانيا فهو شيطاني، والقلب ممتحن من الله في سائر الأحيان بالملك

1 - مخ (160).

2 - مخ (146).

والشيطان يترقى أبدا بأتباعي الملكوتي، وما كان جسمانيا وهو الشيطان وأصل كل خير ونفع وضر منوط بالفكر في كل آن، نوما ويقظة من كل إنسان، وبه يدعو الشيطان. انتهى].[1]

فاختيار الكلمات القرآنية الغنية بحمولتها المعنوية الكبيرة وتفسير ذلك لا يقدر عليه إلا متمكن من اللغة العربية بارع فيها.

1 - مخ (166).

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد،

أهم نتائج البحث:

- التفسير المقاصدي للقرآن هو منهج اجتهادي من مناهج التفسير، يركز على الكشف عن المعاني والغايات التي يدور حولها القرآن الكريم كليا وجزئيا، وبيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصالح العباد، ومقاصد القرآن جزء من مقاصد الشريعة، حيث إن بينهما عموما وخصوصا، فمقاصد الشريعة أعم، ومقاصد القرآن أخص.
- يعتبر الإمام الصفدي - رحمه الله- أحد الأئمة الأعلام في هذه الأمة الذين استطاعوا تكريس حياتهم لخدمة كتاب الله واستخراج دره وكنوزه، ويعتبر تفسيره (كشف الأسرار وهتك الأستار) أحد أهم تفاسير القرن السابع الهجري.
- أهم معالم التفسير المقاصدي عند الإمام الصفدي- رحمه الله-:

*بيانه المقاصد العامة للقرآن الكريم واطراده في شرحها.

* بيانه للمقاصد الخاصة للقرآن الكريم المتعلقة بموضوع خاص أو مجال معين من المجالات والتدقيق في تفسيرها.

*بيانه للمقاصد التفصيلية والجزئية لبعض الآيات القرآنية والإسهاب في إيراد عللها وغايتها.

*بيانه لمقاصد بعض الكلمات والألفاظ القرآنية ذات الحمولة اللغوية والاكتناز المعنوي.

- التفسير المقاصدي حاضر بوضوح في تفسير كشف الأسرار وهتك الأستار، وإن كان الصفدي لم يتناوله من حيث المصطلح.

مما سبق تبينت أهم معالم التفسير المقاصدي في تفسير كشف الأسرار وهتك الأستار للإمام الصفدي، الذي توافرت في تفسيره ضوابط التفسير المقاصدي مع كونه موافقا للغة المخاطبين ومعهود العرب، فالإمام الصفدي الأديب الأريب البارع في اللغة العربية، وله دراية باللغة العبرانية، وسبق بيان كيف يوضح المقاصد النصية والقطعية في الآيات والسور. كما أنه يستعمل علوم اللغة، والفقه، والفقه المقارن، والقراءات، وأنواع التفاسير؛ ليكشف عن مراد وغايات الآيات والسور القرآنية، وقد توضحت في (كشف الأسرار وهتك الأستار) كل أنواع مقاصد القرآن الكريم.

التوصيات:

- جل الدراسات في التفسير المقاصدي تركز على آيات الأحكام، فلا بد للباحثين في التفسير من الكشف عن المقاصد القرآنية في القصص القرآني، وآيات العقيدة، والأخلاق، ضمن أبحاث متخصصة.

- الربط بين التفسير المقاصدي وألوان التفاسير الأخرى كالتفسير الموضوعي، وعمل دراسات موضوعية مقاصدية، أو تربوية مقاصدية، وهكذا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قائمة المصادروالمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ

2- آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: 682هـ)، الناشر: دار صادر بيروت.

3- أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: 764هـ)، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، 1418 هـ

4- أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، الناشر: عالم الكتب.

5- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ

6- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، 1376 هـ

7- تاج التراجم في طبقات الحنفية، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي (المتوفى: 879هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، 1413 هـ

8- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى 2003م.

9- تاريخ البيمارستانات في الإسلام، الدُّكْتُور أَحمد عِيسى (المتوفى: 1365هـ)، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1401 هـ

10- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ

11- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.

12- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

13- كشف الأسرار وهتك الأستار، يوسف بن هلال الصفدي (المتوفى: 696هـ)، بتحقيق الأستاذ بهاء الدين دارتما، مكتبة الإرشاد، الطبعة: 2019م.

14- كيف نتعامل مع القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، دار الشروق، الطبعة السادسة 2008م.
15- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة 1414 هـ .
16- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ.
17- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ
18- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: 749هـ)، الناشر: المجمع الثقافي – أبو ظبي، الطبعة الأولى 1423هـ.
19- معالم التفسير المقاصدي للقرآن الكريم: "آيات الخمر نموذجا"، خالد نشوان عبده، (بحث للحصول على درجة الماجستير في القرآن وعلومه)، ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية، يونيو،2010م.
20- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (المتوفى: 626)، الناشر: دار الفكر- بيروت.
21- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
22- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الناشر: دار الفكر، الطبعة: 1399هـ
23- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، عام النشر1425هـ - 2004م.
24- مقاصد الشريعة الإسلامية تأصيلا وتفعيلا، حمد بكر إسماعيل، الناشر: دار طيبة- مكة المكرمة، الطبعة الأولى، سنة النشر:1427هـ.
25- مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم –بيروت، الطبعة الأولى 1429هـ.
26- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: 874هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
27- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ
28- نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم، وصفي عاشور أبو زيد، دار النشر: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1440هـ.
29- نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، الشهير بالغزي (المتوفى: 1351هـ)، الناشر: دار القلم، حلب، الطبعة الثانية 1419 هـ
30- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي(المتوفى:764هـ)، دار النشر: دار إحياء التراث-

بيروت 1420هـ

- **المجلات والدوريات:**

1- التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم، أبو زيد، وصفي عاشور، ورقة بحثية مقدمة لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، بالجمهورية الجزائرية، في مؤتمرها الدولي بعنوان: "فهم القرآن بين النص والواقع"، سنة2013م.

2- التفسير المقاصدي، إشكالية التعريف والخصائص، نشوان عبده، الأطرش، رضوان جمال، مجلة ثرآنيكا جامعة ملايا، ماليزيا، العدد2، 2013م.